

م الموضوعات الإسلامية - م الموضوعات متفرقة - المحاضرة ٣٨ : ما يجري من أحداث في هذا العالم من منظور إسلامي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٩-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا
علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون
القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

في القرآن الكريم نماذج للأمم متكرر و أوضح هذه النماذج قبيلة عاد :

أيها الأخوة المؤمنون: أحياناً ينشأ حديث خطير يُشد الناس إليه فإذا جاؤوا إلى المسجد ينتظرون أن يستمعوا إلى الحكم الشرعي، أو إلى وجهة نظر الدين إلى هذا الشيء، لذلك هذا الدرس سأخصصه للأحداث الكبيرة التي عمّت الأرض في هذه الأيام.



القرآن كتاب هداية وليس كتاب تاريخ

أول شيء أتمنى أن يكون واضحاً لديكم أن الله جل جلاله لا يمكن أن يكون قرآنه كتاب تاريخ هو كتاب هداية، كتاب التاريخ يبنئك عن أقوام عاشوا وهلكوا وانتهى أمرهم لكن القرآن الكريم إذا أخبرك عن أقوام عاشوا وهلكوا هؤلاء الأقوام نموذج متكرر، الله قدم نموذجاً لذلك حينما تجد التفاصيل ضعيفة في القرآن الكريمة و قليلة، قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْبَى﴾

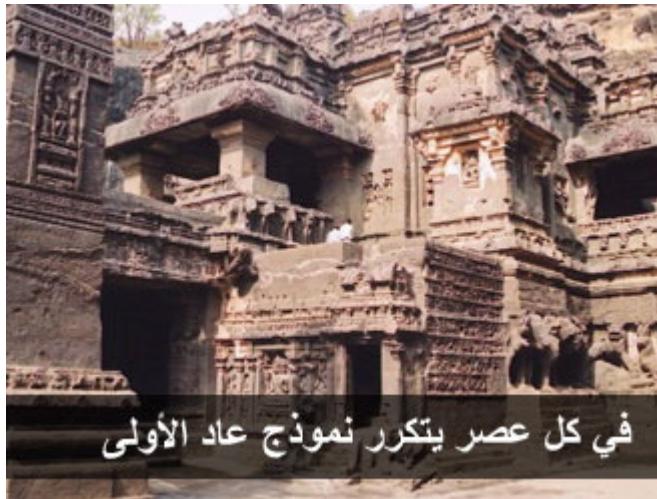
[سورة الكهف: ٨٣]

من هو؟ ما اسمه؟ في أي قرن عاش؟ في أي قارة عاش؟ هل هو الإسكندر المقدوني؟ حينما يغفل القرآن هذه التفصيات ليشعرنا أن صاحب هذه القصة ليس معنِّياً، من المعنى؟ النموذج التي تمثله هذه الشخصية. هذه قاعدة أساسية لا يمكن للقرآن الكريم أن يكون كتاب تاريخ لكن في القرآن الكريم نماذج بشرية، وفي القرآن

الكريم نماذج للأمم تتكرر لعل من أوضح هذه النماذج قبيلة عاد، وحينما قال الله عز وجل:

﴿وَإِنَّهُ أَهَاكَ عَادًا الْأُولَى﴾

[سورة النجم: ٥٠]



في كل عصر يتكرر نموذج عاد الأولى

فكان في هذه الآية إشارة أن هناك عاداً الثانية، عاد الأولى ما خصائصها الثابتة؟ دائمًا في كل قرن، في كل عصر، في كل حقبة، نموذج كعاد الأولى يتكرر.

فاد الأولى وصفها الله عز وجل بأنه لم يخلق مثلاً في البلاد إطلاقاً، وقد يأتي آت من هذه البلاد ممتهناً إعجاباً، الاقتصاد، الجامعات، المواصلات، الأبنية، النظام المحكم، العمل الناجح، التي لم يخلق مثلاً في البلاد، أي هي متفوقة في شتى الميادين، هذه الصفة الأولى، تفوق في العلوم، تفوق في القوى العسكرية وفي الأبنية.

صفة ثانية أصحابها متكبرون متغرون، يقولون: من أشد منا قوة؟ في تبرج، وغطرسة، وكبر، واستعلاء، وإحساس أنهم فوق الجميع، وأن مصالحهم فوق الجميع، وأن مصالحهم فوق مصالح الشعوب جميعاً، من أشد منا قوة؟ ثم إنهم تفوقوا في العمران تفوقاً يفوق حد الخيال، قال تعالى:

﴿أَتَبْئُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُثُونَ * وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعْكَمْ تَخْلُدُونَ﴾

[سورة الشعراء: ١٢٩-١٢٨]

تفوق عمراني، وعندهم قوة عسكرية جبار، قال تعالى:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ﴾

[سورة الشعراء: ١٣٠]

لم يخلق مثلاً في البلاد، من أشد منا قوة؟

﴿أَتَبْئُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُثُونَ * وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعْكَمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ﴾

مستوى الذكاء عندهم مرتفع جداً لأنهم أخذوا أدمغة الشعوب، وقال تعالى:

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٣٨]

ثم يقول الله عز وجل:

﴿لَمْ تَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾

[سورة الفجر : ٨-٦]

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾

[سورة الفجر : ١٢-٩]

أحياناً لا تجد مكاناً في العالم إلا يعرض أفلاماً مثيرة إلى درجة غير معقولة، إلى درجة أن الإنسان يفقد إنسانيته، في كل مكان في العالم من إنتاج مؤسسات السينما هي القمة في العالم.



﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَدٍ﴾

[سورة الفجر : ١٤-١١]

عاد الأولى أي أن هناك عاداً الثانية، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا ثُمُودُ فَاهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانُوكُمْ أَعْجَازُ نَحْنُ خَاوِيَةٍ﴾

[سورة الحاقة : ٧-٥]

وقد سلط الله عليهم الأعاصير، إعصار واحد كلف ثلاثة مليارات، أرأيت إلى هذه الصفات؟ لكن أبها الأخوة مثل هؤلاء الأقوام لابد من أن يرتفعوا إلى درجة كبيرة جداً، ولا بد من أن يظهر الله آياته، الذي هو جار في الحياة أن الله يقوى هذا الكافر، يقويه ويقويه ويتتجه ويستعلي ويتعطى ويتغطرس ويقول: أنا، يعيش وحده والناس جياع، يأكل وحده والناس جياع، يسكن وحده في أرقى البيوت والناس بلا مأوى، شيء غير معقول ثم يظهر الله آياته، حينما يقوى هذا الكافر يكاد ضعيف بالإيمان يقول: أين الله؟ أين أنت يا الله؟ وحينما يظهر الله آياته يقول الكافر: لا إله إلا الله. الشيء الذي حصل بالخيال لا يقع، قال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال: ١٧]

اختلاف الناس في تفسير الأحداث :

لكن النقطة الدقيقة جداً أن الشيء إذا وقع لا أحد يشك في هذا الواقع، الوقع رأي العين، لكن متى نختلف أو في أي موطن نختلف؟ نحن لا نختلف في وقوع هذا الحدث، الحدث سمع الناس به جمياً، ومعظم الناس رأوه رأي العين، رأوه أثناء وقوعه، فالناس لا يختلفون في تصديق وقوعه أو عدم التصديق ولكنهم يختلفون في تحليله، وتفسيره.

كنت قد ضربت مثلاً أنه حينما تنشأ فرضاً حرب أهلية في بلد مجاور، هذه لها تفسيرات كثيرة ولنضرب على ذلك مثل ما جرى عند جيراننا، حرب أهلية دامت خمسة عشر عاماً أكلت الأخضر واليابس، ولم ينتصر في النهاية أحد، عادوا إلى ما كانوا عليه متعاونين متعاشين، هذا الحدث الذي دام خمسة عشر عاماً كيف يفسر؟ هناك تفسير دولي أن هذا البلد بما فيه المركز المالي نمواً كبيراً لدرجة أنه نافس مراكز أوروبا فحطمه الأجانب، هذا تفسير دولي، يوجد تفسير عربي أن هذا البلد كان ساحة صراع عربية، وهناك تفسير طائفي أن هناك حرباً طائفية من عام ألف وثمانمائة وستين، ويوجد تفسير - كما يقال تفسير نسواني - حكمتها عين، أي تفسير ينبغي أن تأخذ؟ التفسير القرآني، أنت كمؤمن لا تقر إلا التفسير القرآني، قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل: ١١٢]

أنا كمؤمن معي كتاب، معي وحي من الله، التفسير القرآني هو أصوب تفسير.

يوجد آية ثانية:

﴿قُلِ اللَّهُ يُنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُوْنَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام: ٦٤-٦٥]

من فوقكم الصواعق والصواريخ، ومن تحت أرجلكم الزلازل والألغام، قديم وحديث، أو يلبسك شيئاً ويدنيق بعضكم بأس بعض، أرأيت إلى هذا؟ هذا هو التفسير القرآني لما يجري.

توظيف الله عز وجل الشر للخير المطلق :

نحن كما تكلمنا في درس الجمعة حينما تظن أن الذي وقع ليس بقضاء الله وقدره فهذا سوء ظن بالله، قال تعالى:

﴿يَيْطُّنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٤]



وإذا أيقنت أن هذا الذي وقع وقع
بقضاء الله وقدره ولكن لا حكمة فيه
أيضاً أنت وقعت بسوء ظن بالله، ينبغي
أن تعلم علم اليقين أن هذا الذي وقع
وقع بأمر الله وقد سمح الله به، لكن
بعضهم يقول: أيسماح الله بالشر؟ أيسماح
الله بالقتل؟ الجواب: لا، لكن يوجد
عندنا قاعدة أصولية أن الله أراد ولم
يأمر، أراد ولم يرض، أليس هناك من

يسرق؟ هل يستطيع إنسان أن يسرق إن لم يسمح الله له أن يسرق، يقول له: زل فيزول، يشله فجأةً، يموت فجأةً، ما سرق السارق إلا وقد سمح الله له أن يسرق، لماذا سمح الله له أن يسرق؟ لأن الإنسان مخير في الأساس، بنيته بنية اختيار، هويته مخير.

أنت حينما ت يريد أن تعين موظفاً في صيدلية تمحنه، تأتيه بأدوية تقول له: هذه أدوية منوعة ضع كلًا منها في مكانه الصحيح، هنا فيتامينات، هنا مضادات حيوية، هنا أدوية مسكنة، فإذا أمسك دواءً مسكنًا ليضعه مع الفيتامينات لو منعه ما امتحنته، تسمح له أن يأخذ هذا الدواء ويوضعه بمكان غير صحيح هذا معنى سمح، سمح ولم يأمر، سمح ولم يرض، فالشر المطلق لا وجود له في الكون بل إن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن بالله موجوداً واحداً كاملاً، وإما أن تؤمن أن في الكون شرًا مطلقاً، أي الشر للشر، لكن الله جل جلاله يوظف الشر للخير المطلق. قريبة لي أرادت أن تكون مدرسةً، قدمت طلب طولبت بفحص صدر لها، ذهبت إلى مستشفى عام وفحست صدرها، وفي اليوم التالي أخذت النتيجة أنها مصابة بمرض السل، بكت وبكت وبكت وانزلت وأوت إلى غرفتها ولم تقابل أحداً وخاف أهلها أن تكون عدوى فامتنعوا عن معاملتها مباشرةً، صنعوا لها أدوات خاصة، وبعد أسبوعين أو ثلاثة أرادت أن ترجع إلى الله، وأن تتوسل من ذنبها، وأن تصلي، وأن تتحجب، وبعد أن تابت إلى الله واصطلحـت معه ذهب أخوها إلى المستشفى ليستطلعـ ما الذي حدث، فإذا بالقائمين على المستشفى يخبرونه أن هذه النتيجة ليست لأخـاك لكنـها بلـغـتـ خطـأـ، هي لإنسـانـةـ أخرىـ، هذا خطـأـ كـبـيرـ بالـمـسـتـشـفـيـ لكنـ ماـذـاـ فعلـ اللهـ بـهـ؟ وظـفـهـ لـخـيـرـ المـطـلـقـ، كانـتـ توـبـتـهاـ عـنـ طـرـيقـ هـذـاـ الشـيـءـ.

سمعت عن مدرسة ذهبت إلى السعودية هي تحمل لسان بالرياضيات، عينت في منطقة نائية، المديرة كلفتها أن تدرس التربية الإسلامية للقسم الثانوي، هذا ليس اختصاصها إطلاقاً، تفسير وحديث وشرح وعقيدة، قالت لها: هذا ليس اختصاصي أنا اختصاصي رياضيات، قالت لها: إن لم يعجبك هذا التدريس نستغني عن عقدك، فانصاعت، تقول هذه الأخت الكريمة: دخلت إلى الصف العاشر ، والمادة تربية دينية والآيات من صورة النور متعلقة بالحجاب، قرأت فيكت،

القرآن له وهج، له نور. تخاطب نفسها كم كنت غافلة عن هذا القرآن في الدرس الأول قالت لطالباتها: اعذروني افعلوا ما شئتم وأمضت الساعة كلها تبكي على نفسها حينما قرأت هذه الآيات من صورة النور. فحمد المديرة كان سبب هديتها.

تعلق إرادة الله بالحكمة المطلقة :

أول نقطة دقيقة: ليس في الكون شر مطلق، الشر المطلق لا وجود له في الكون بل إن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله هذا تمهيد، كل شيء وقع سمح الله به، وقد يكون الموقع غير حكيم، وقد يكون مخطئاً، وقد يكون مجرماً، لكن مadam الله سمح له أن يقع فهو خير، القاعدة لكل واقع حكمة، لذلك ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى



لكل واقع حكمة

يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصييه، وانتهى الأمر، فالمؤمن مستسلم، ليتهم لم يفعلوا ذلك، أربكونا وأخافونا وعطلوه مصالح المسلمين، وأصبح كل مسلم مهدداً، وهناك حرب مدمرة ستأتي، لا تقل ذلك، قل: كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، لكن الشرح الدقيق لأن كل شيء متعلق بالخير المطلق وبالحكمة المطلقة الإنسان متى يكون غير حكيم؟ يكون غير حكيم إذا كان جاهلاً.

لي صديق اشتري سيارة حديثة يوجد مصباح أمامه تألف باللون الأحمر، وهو مصباح الزيت، هذا اللون خطير جداً يعني أن المحرك لا يوجد فيه زيت، فلو تابع السير احترق المحرك، ولو أضاف الزيت بثلاثمائة ليرة لنجا، احترق المحرك كلفه ثلاثة ألفاً، هو ظنه ضوءاً تزينيناً فتابع السير، ألم يرتكب حماقة كبيرة لماذا ارتكبها؟ لأنه يجهل حقيقة هذا المصباح.

مزارع عنده بيوت محمية اشتري سماذا ذواباً من أرقى مستوى، تعليمات المهندس الزراعي ضع لترًا في كل برميل، هو طموح يريد غلة مضاعفة فوضع ليترتين في كل برميل فاسود المحصول كله، كل بيت بمئتي ألف، عنده ستة بيوت خسر مليون ومئتي ألف لأنه ضاعف الكمية أليس هذه حماقة؟ لماذا وقعت؟ لجهل المزارع.

أحياناً يأتي ضغط شديد تقول كلاماً لست قانعاً به كما يجري الآن في العالم كله، الكل ينافق، قد يأتي ضغط لا تستطيع أن ترده تقول كلاماً لست قانعاً به، من أين جاءت عدم الحكمة؟ من

الضغط، وقد يكون إغراء شديد فتزل قدم الإنسان لأن الإغراء سيطر عليه، هل تصدق هذه الحالات الثلاث على الله عز وجل ممكناً؟ مستحيل، إذاً أفعال الله متعلقة بالحكمة المطلقة، ذلك أن الله عز وجل هذا الذي وقع لو لم يقع لكان الله عز وجل ملوماً، لو أنه وقع على خلاف ما وقع لكان الله ملوماً، لو أن هذا الذي وقع لم يقع لكان نقصاً في حكمة الله، لذلك المؤمن برد وسلام، لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالمؤمن مستسلم لكن كل أنواع الشر التي تبدو شرّاً لا بد من أن تنتهي إلى الخير.

الله عز وجل ما أمرنا أن نعبده إلا بعد أن طمأننا :

كنت في مؤتمر وفي نهاية المؤتمر في حفل الختام جرت العادة أن ضيوف المؤتمر الذين يلقون المحاضرات يجلسون على منصة الخطابة مجتمعين، وكل واحد منهم يلقي كلمة لا تزيد عن دقيقة، محاضراته ساعات أما الآن فدقيقة، مندوب دولة مقهورة قال: والله لقد أصاب شعبي - يقصد الدولة التي هو منها - من الألم والذل والقهقر والفقير والبؤس ما لم يصب به المسلمين في شتى أقطارهم في مئة عام وبكى، ثم قال: لكنهم ارتفعوا في سلم الإيمان ما لم يرتفعوا به في ثلاثة عام.



أمرك الله أن تعبده بعد أن طمأنك

فما كان مني أن قلت: إن خطة الله
استوعبت خطة هذه الدولة الماكرة. لا
يوجد إلا الله، الإنسان يهدى، يتوعد،
يقول: سأفعل، سأسحق، سأستأصل،
سيكون انتقامي فعالاً ومستمراً وكاسحاً،
قل ما شئت أنت عبد، هؤلاء العباد لهم
رب، ولو أن الله أسلمهم لك لا يستحق
أن نعبد، لو أن هؤلاء أسلمهم إلى
إنسان حاقد قوي يفعل ما يريد لا
يستحق الله أن نعبد، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾

[سورة هود: ١٢٣]

متى أمرك أن تعبد؟ بعد أن طمأنك، نحن في زمن صعب، في زمن هناك من يدعى الألوهية،
هؤلاء الغربيون متأنقون أي آتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقدف في قلوبهم الرعب.
هناك طرفة وهي في الحقيقة طريقة جداً، لي أصدقاء دعاهم صديق لهم إلى مزرعة، فالمزرعة
في مكان في جنوب دمشق، لها باب كبير وعليه قفل كبير، ولها حائطان، جاء المدعون ومعهم
طعامهم وفاكهتهم والبطيخ، لم يأت صاحب الدعوة فاضطروا أن يصعدوا على هذا السور العالي،

وتمرت ثيابهم وقعت البطيخة منهم فانكسرت، فلما نزلوا وجدوا أنه لا يوجد جدران مفاجأة كبيرة جداً كل هذا الباب والقليل لا يوجد جدران، طبعاً مفارقة حادة، هذا الدرع الصاروخي أين أصبح؟ أين الذي يتكلم عنه سنة؟ قال تعالى:

﴿فَاتَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حِيثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعب﴾

[سورة الحشر: ٢]

الحقيقة هناك من شاهد مشاهدات أعضاء الكونغرس، وجدوا علبة على الدرج تقرروا وكأنهم أطفال من خوفهم، خوف في فرنسا وبريطانيا وبالشمال والجنوب من علبة، من ورقة، من تهديد، من اتصال هاتفي، خوف ملايين قلوب البشر في خمس قارات.

أيها الأخوة الكرام: يعنينا أن نعرف الله، يعنينا أن نفهم الأحداث فيما قرآنا صحيحاً، لأن هذه القوى الجبارة لو أنها استمرت جباره هذا يتناقض مع وجود الله، يكون الله قد ألهها، الناس قبل هذا الحدث لا يرون إلا هذه البلاد، هناك تفعل ما تريده، هم يؤلهونها، الله موجود، الله عز وجل موجود لا يتخلى عن المؤمنين وهذا محور درس البارحة، لا يمكن أن يتخلى عن المؤمنين، يقول لك: انتهى المسلمين في العالم، لا لم ينتهوا لكن رب ضارة نافعة.

المؤمن كريم رحيم :

أخواننا الكرام: لا تتسرعوا أن الآلام الشديدة التي ترافق الأمراض هي جزء من الشفاء، الآلام الشديدة التي ترافق الأمراض هي جزء من الشفاء، وأن الأمراض الخطيرة ليس لها آلام أبداً كالسرطان، ليس له آلام يتسلل تسللاً، فحينما يقوس الطرف الآخر ولا يكون منصراً يكون جاداً، لا يكون موضعياً يكون متلبلاً، لا يكون عادلاً



الآلام جزء من الشفاء

يكون ظالماً، لا يستمع إلى نصيحة هذا ليس بإمكانه أن يفعل شيئاً:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[سورة الزمر: ٦٢]

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

[سورة طه: ٤٥-٤٦]

إياك أن تتوهم أن الله يغفل، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٢]

أي ذاقوا ما يذوق العالم الثالث، وتلّموا أشد مما يتّلم العالم الثالث، والله لا نرضى أن يموت البريء، نحن إنسانيون، سيدنا صلاح الدين عندما فتح القدس لم يسفك دم إنسان واحد، امرأة جاءته ولقد فقدت ابنها وقف ولم يجلس حتى أعادوا لها ابنها، بينما الفرنجة عندما فتحوا القدس ذبحوا سبعين ألف إنسان مسلم في يوم واحد، المؤمن كريم، رحيم.

امتحان الله المسلمين في العالم كله :

الشيء التالي لا يمكن أن تؤمن بالله إلا إذا كفرت بالكفر، تقول: بلاد راقية، حقوق إنسان، مستوى راق، هذا كله كلام فارغ، هذا الإنسان البعيد عن الله قلبه كالحجر قاس، ألم تعلموا أن خمسة ألف طفل في العراق يموتون كل عام بسبب هذا الحصار؟ ما جرى بين العراق وإيران ذهب مليون إنسان، ما جرى في الشيشان قتل ثلاثة ألف أو أربعين، ما جرى في البوسنة والهرسك، ما جرى في ألبانيا، ما جرى في كوسوفو، ما جرى في الصومال، ما

جرى في السودان، قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٦]

﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعَدْهُ رُسُلُهُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٧]

ولكن.... أيها الأخوة: سأقول كلاماً خطيراً أبداً بمثل والمثل عبر جداً،



الله يمتحن المسلمين في العالم كله

إنسان أنشأ بناء، وبني شرفة، وجد في أسفل هذه الشرفة تشبقات مادا يفعل؟ أيهمها؟ لعلها جيدة، أيقىها؟ لعلها فاسدة، أخواننا المهندسون عندهم حل اسمه التحميل، يضعون في هذه الشرفة عشرة براميل، يملؤونها ماء، فإذا وقعت فلا ردتها الله معنى هذا أنها سيئة، وإذا صمدت معنى هذا أنها جيدة. لأن الله جل جلاله في هذه الأيام العصبية يمتحن المسلمين في العالم كله ، يمتحنهم بهذا الأسلوب التحميل فإن صدوا هم إذاً جيدون، وإن انهاروا وأشرکوا وخافوا ونافقوا وتأمروا على بعضهم عندئذ هؤلاء لا خير فيهم، معنى هذا أنهم سقطوا.

لذلك نحن في دار ابتلاء لا في دار تكريم، أكبر خطأ وقع به المسلمين أنهم عكسوا الأمر هم في دار ابتلاء فجعلوها دار جراء، هم في دار عمل فجعلوها دار أمل، هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، جعلها الله دار

بلوى وجعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويكتفي ليجزي.

النصر لا يأتي إلا بالعودة إلى الله ومراجعة حساباتنا :

ماذا بقي علينا؟ بقي علينا أن نتعاون، أن نعود إلى الله، لأن يوجد خطر حقيقي لا خطر موهم، والمؤمن إن لم يتعاطف مع بقية المؤمنين والله يشك في إيمانه، ماذا ينجينا من هذا الخطر؟ أن نصلح مع الله، أن نراجع أوراقنا، أن ننظر في بيوتنا هل هناك معصية؟ هل هناك بنت تخرج بشكل لا يرضي الله؟ هل هناك زوجة لا تؤدي واجباتها تجاه الله؟ هل هناك في الدخل حرام؟ هل هناك علاقات آثمة في العلاقات العامة؟ فكل مؤمن عليه أن يضبط نفسه. يروى أن الخديوي دخل في حرب مع السودان - قصة قيمة ذكرتها على المنبر - فسأل شيخ الأزهر ماذا أفعل؟ فقال له: نحن في العادة في مثل هذه الأزمات نكلف نخبة من العلماء الصالحين بقراءة كتاب البخاري، قال: افعلا ذلك، فجاء العلماء وقرؤوا البخاري والهزائم تتلاحم، فجاء مرةً غاضباً قال لهم: إما أن هذا الكتاب ليس كتاب البخاري أو إنكم لستم علماء. كلهم خافوا، عالم شاب في المؤخرة قال له: أنت السبب، قال له: لماذا؟ قال: إن لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر يدعو صلحاؤكم فلا يستجاب لهم، فارتعد وخرج من الأزهر والعلماء عنفوا هذا الذي قال هذه الكلمة ولاموه لقد خربت بيوتنا، لعلنا نعاقب جميعاً من أجلك، بعد حين جاء طلب من القصر يطلب هذا الذي قال هذا الكلام، دخل على الخديوي فقال له: أعد على مسامعي هذا الذي قلت لي، قال: أنت السبب قال له: ولم؟ قال: أليس في القاهرة دور دعارة، ودكاكين للخمر، هذه المعاصي والآثام هي سبب تأخر النصر، قال له: ماذا أفعل؟ هكذا يريد الغرب مني، هذه حضارة، قال له: إذاً أنت تسمح للمنكر، ما ذنب شيخ الأزهر والبخاري؟ ليس لهم ذنب والخطأ منك. وقد تابعت هذا الموضوع في كتب التاريخ إذا بهذا الخديوي يزيل هذه المنكرات بعدها انتصر، معنى هذا كلمة الحق مهمة جداً.

أيها الأخوة: لماذا المنافق في الدرك الأسفل من النار؟ لأنه أخذ ميزات المؤمنين، هو عند الله مسلم وتمتع بانحرافات المنحرفين، جمع بين ميزات الإيمان فهو عند الناس مؤمن وتمتع بما يتمتع به الكافر المتفلي فاستحق أن يكون في الدرك الأسفل من النار.

المشكلة كل هؤلاء المسلمين في العالم
محسوبون على الله، ليسوا نماذج
كاملة، يوجد كذب، يوجد بهتان، غيبة،
نميمة، تغليظ، كسب حرام، علاقات



المنافق في الدرك الأسفل من النار

آثمة، نفاق، هؤلاء محسوبون على الله وهم ليسوا على ما يرضي الله، فكأن الله عز وجل أراد منهم أن يحددوا موقفهم إما أن تصطلحوا معه، إما أن تتوموا إلى الله، عندئذ يتولى الله أن يدافع عنكم، وإلا أنتم وشأنكم، أنتم بهذه الأمم الشاردة يصيّبكم ما يصيّبها هكذا، الأمم الشاردة يأتيها زلزال، براكين، قهر، فقر، هكذا لأن الآية الدقيقة:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّاؤُهُ قُلْ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة المائدة: ١٨]

لو أن الله قبل دعواهم لما عذبهم، لو أنه قبل دعواهم لما عذبهم، قال تعالى:
﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ خَلْقِي﴾

[سورة المائدة: ١٨]

حينما لا نستقيم على أمر الله لا شأن لنا عند الله أبداً، نحن بهذه الأمم الشاردة يصيّبنا ما يصيّبها من فقر، وقهراً، وإهانة، أما إذا كنا مع الله فيتولى الله أن يدافع عنا، ويتوّلي أن يوفّنا، وأن ينصرنا على أعدائنا، فالآن عملية فرز، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٩]

أنت خذ موقفاً واضحاً هل أنت ولـي الله؟

الولي مؤمن مستقيم :

مرة أحد الأغنياء بالعصر العباسي غارق في الشرب والنساء والغناء والجواري فطرق بابه صالح - ولـي - خرج غلام له فقال له: قل لـسيـدك إن كان حرّاً فليفعل ما يشاء، وإن كان عبداً فـما هـكـذا تـصـنـعـ العـبـيدـ، فـلـمـاـ أـلـبـغـهـ الرـسـالـةـ قالـ لـهـ:ـ مـنـ هـوـ؟ـ قـالـ:ـ ذـهـبـ،ـ تـبعـهـ حـافـيـاـ وـهـذـاـ بـشـرـ الحـافـيـ وـصـارـ مـنـ كـبـارـ الـعـلـمـاءـ.

ما الذي زلزله؟ هذه الكلمة، إن كنت حرّاً فافعل ما تشاء، وإن كنت عبداً فـما هـكـذا تـصـنـعـ العـبـيدـ. الله لا يـريـدـنـاـ أـنـ نـرـتـديـ ثـيـابـ إـسـلـامـيـةـ،ـ نـتـعـطـرـ بـعـطـرـ مـشـاـيخـ،ـ مـسـوـاـكـ فـيـ الجـبـ،ـ وـخـاتـمـ فـضـةـ،ـ وـمـصـحـفـ فـيـ جـيـبـاـ،ـ وـمـسـبـحـةـ،ـ وـتـمـرـ اـمـرـأـةـ فـتـقـولـ:ـ سـبـحـانـ اللهـ،ـ مـاـ هـذـهـ التـلـبـسـةـ وـ وـالـزـعـرـةـ؟ـ اللهـ لاـ يـرـيـدـنـاـ أـنـ نـفـعـلـ أـعـمـالـاـ ظـاهـرـةـ وـبـيـوتـنـاـ لـيـسـتـ مـسـلـمـةـ لـاـ يـوـجـدـ فـيـهـ اـنـضـبـاطـ،ـ لـاـ يـوـجـدـ فـيـهـ تـرـبـيـةـ،ـ يـوـجـدـ كـذـبـ،ـ دـجـلـ،ـ خـدـاعـ،ـ كـسـبـ مـالـ حـرـامـ،ـ غـشـ،ـ وـالـلـهـ الغـشـ الـذـيـ يـفـعـلـهـ الـمـسـلـمـونـ يـسـتـحـقـواـ عـلـيـهـ عـذـابـ اللهـ،ـ لـاـ يـهـمـهـ النـفـاقـ وـالـغـشـ حـتـىـ يـرـوـجـ بـضـاعـتـهـ،ـ يـجـبـ أـنـ يـضـعـ اـمـرـأـ شـبـهـ عـارـيـةـ فـيـ التـلـفـازـ،ـ مـسـلـمـ مـنـ روـادـ الـمـسـاجـدـ،ـ هـذـاـ النـوـعـ مـرـفـوضـ،ـ الـآنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ عـمـلـ أـسـلـوبـ التـحمـيلـ يـحـمـلـنـاـ،ـ وـإـنـ شـاءـ اللهـ أـنـ يـكـونـ التـحمـيلـ ضـمـنـ طـاقـتـاـ،ـ الدـعـاءـ:ـ "ـرـبـنـاـ لـاـ تـحـمـلـنـاـ مـاـ لـاـ طـاقـةـ لـنـاـ بـهـ".ـ يـوـجـدـ عـدـوـ شـرـسـ،ـ قـوـيـ جـداـ،ـ حـاقـدـ،ـ نـحـنـ نـحـمـلـ الـآنـ،ـ يـجـبـ أـنـ تـحدـدـ هـوـيـتـكـ أـنـتـ ولـيـ بـالـعـنـيـ

القرآنی وليس بالمعنى غير القرآنی، إنسان رث الهيئة كلام خرافي هذاولي، لا، هذا كلام فارغ، قال تعالى:

﴿إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس : ٦٢-٦٣]

هذا هو الولي مؤمن مستقيم. فأنت حدد هو ينك:

((بَادْرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَا كَقْطَعَ اللَّيْلَ الْمُظْلَمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا
وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضِ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ))

[مسلم عن أبي هريرة]

موت كعاقص الغنم لا يدری القاتل لم يقتل؟ ولا المقتول فيم قتل؟ يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن سكت استباحوه وإن تكلم قتلواه.

ما يجب على الإنسان عمله في زمن الفتنة؟



يا أيها الأخوة: نحن في زمن صعب،
في زمن الفتنة:

((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهْجَرَةٍ إِلَيْ))

[مسلم عن معاذ بن يسار]

لابد من أن نحدد موقفنا مع الله،
الدعاء: "اللهم إني عبدك وابن عبدك
وابن أمتك ناصيتي بيديك، ماض في
قضاياك، ناذ في حكمك، أعود بنور
 وجهك التي أشرقت له السموات

والأرض، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو أن تحل بي سخطك، ولك
العتى حتى ترضى، لكن عفيفتك أوسع لي، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك و
أنا على عهدي ووعدك ما استطعت، أعود بك من شر ما صنعت، أبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه
لا يغفر الذنب إلا أنت". نحن في زمن صعب، وفي زمان فرز، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٩]

أرجو الله أن يتم بخير، وأن نعتصم بالله عز وجل، وأن نصلح بيوتنا، الله ما كلفك أن تقنع العالم
الغربي أن يغير سياساته، هل تستطيع؟ هل تستطيع أن تقنع العالم الغربي المتغطرس أن يغير
سياسته مع المسلمين؟ لا والله، لكن ماذا تستطيع أن تفعل؟ أن تقيم الإسلام في بيتك، هذا مملكتك،
وفي عملك، كل إنسان يعاهد الله أن يكون مسلماً في بيته، وفي عمله، أديت الذي عليك انتظر أن

تأخذ من الله الذي لك، أديت الذي عليك بقي لك أن تأخذ من الله الذي لك، أما نحن ففي زمن صعب، الأحاديث التي وردت عن آخر الزمان مخيفة:

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون ، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون ، قالوا: ما أشد منه ؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف))

[زيادات رزين عن علي بن أبي طالب]

ويوجد أشد من ذلك.

من لم يكن على الحق فهو على الباطل :

في أيها الأخوة الكرام: هذا الذي حدث وقع بقضاء الله وقدره، وقد أراده الله بمعنى سمح به لأنّه فرز للمؤمنين، لن يوجد بعد حين إلاّ أنّاس يؤمنون بالدنيا فقط وأنّاس يؤمنون بالآخرة، حضارة أنّاس سيطرة على الطبيعة، وحضارة المسلمين سيطرة على الذات، محسن ومسيء، منصف وجاهد، آخرولي ودنيوي، شيطاني ورباني، لا يوجد غير هذا لأنّ الله تعالى قال:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضْلَلُ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هُوَ أَهْوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

إن لم تكن على الحق فأنت على الباطل
قطعاً، أثنينية، خطان لا ثالث لهما إن
نم تكن على الحق فأنت على الباطل،
هذا كلام خطير، فالآن لا يعصمنا من
أعدانا إلا أن نكون مع الله، فإذا كان
الله معك فمن عليك؟؟؟

أختم درسي هذا بهذا النص ورد في
الأثر: " ما من عبد يعتصر بي من دون
خلفي أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل



السموات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من عبد يعتصر بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه".
فلنعتصر بالله، ولنحكم علاقتنا بالله، ولندع كل شهوة لا ترضي الله، ولنأمر بالمعروف ولننه عن المنكر، ولا نجامل ثم لننق الله ولنصره حتى يلغى الله شبحهم ووكسهم، الأوكس تلغى إذا اعتصمنا بالله، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلَا يَضْرُبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

لا صواريخ، ولا مروحيات، ولا مكر، ولا أقمار صناعية، ولا تهديدات، إذا كان الله معك فمن عليك؟؟ أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد اقتربت من هذا الذي حدث، والذي اهتز له العالم ولكن من منظور إيماني، يوجد عدة زوايا أنا أعني بزاوية القرآن، طبعاً أي منبر آخر له أن يقول ما يشاء، له أن يحل ما يشاء، لكن في بيت الله لا يمكن أن يطرح إلا المنظور الإسلامي.

والحمد لله رب العالمين